مجلة العلوم الانسانية، ١٤٢٧/٢٠٠٦ هـ.ق، العدد ١٣ (٤) ١٩-٣٣

الإتجاه الموضوعي فيشعر الكتّاب في القرن الرابع الصابيء نموذجاً

عبد الغني ايرواني زاده[١]، حسين كياني[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٢٧/٣/٢٤ تاريخ القبول: ١٤٢٧/٩/٢

إنّ شعر الكتّاب في القرن الرابع وإن تميّز بميزات وسمات من شعر هذا القرن فإنّه بما فيه من قيم العصر الفنية السائدة في شعرهذا القرن صار جزءاً من نسيجه.إلا أنّ الشهرة الكتابية لهؤلاء الشعراء ذهبت بشهرتهم في ميدان الشعر وجعلتهم من الشعراء الثانويين و المهملين المغمورين.

هذه المقالة دراسة لظاهرة أدبية عرفها العصر العباسي وهي ظاهرة شعر الكتّاب الشعراء، مثقفي العصر الذين جمعوا بين فنّي القول: الشعر والنثر؛وسنحاول فيها معالجة شعرهم مبينين موضوعاته خلال دراسة شعر الصابيء و هو علم من أعلام الكتّاب الشعراء في هذا العصر.

الكلمات الأساسية: الشعر، الكتّاب، القرن الرابع، الصابيء.

١. عضو الهيئة التدريسية، قسم اللغة العربية،بجامعة إصفهان

٢. طالب بمرحلة الدكتوراه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

«شعر الكتاب» مصطلح أدبي نقدي، أطلقه نقاد الأدب ومؤرخوه القدامى على شعر فئة من أدباء العصر العباسي كانت قد جمعت بين الكتابة والشعر سواء أكان هؤلاء الكتّاب قد تصرفوا في أعمال السلطان، و دواوين الخلافة، أم إحترفوا الكتابة خارج الدواوين لبعض الخلفاء و ولاة العهود والأمراء ووجوه الناس في خاصّ أمورهم، أم كانوا قد اصطنعوها خارج هذين المضمارين، في كتابة الرسائل الإخوانية والأدبية والفكرية، أو في التصنيف و التأليف (العلاق، ١٩٧٥: ٤٩).

لم تقتصر هذه الظاهرة على العصر العباسي، بل كانت موجودة قبلَه، لقد عرف العصر الجاهلي عدداً من الكتّاب الشعراء، فعديّ بن زيد العبادي كان من بين عدد من كتّاب أهل الحيرة، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى (الإصفهاني،٢٠٠٠: ٢: ٧٢). ومنهم زيد بن عدي، ولقيط بن يعمر الأيادي والمرقش الأكبر... (كردعلي، ١٩٤٨: ١٠) ونجد ايضاً مثل هذه الفئة في العصر الإسلامي والأموي، ولكن عدم شيوع هذه الظاهرة في تلك العصور، و إطرادها في العصر العباسي خاصة القرن الرابع لفت إنتباه النقـــاد والمؤرخين إليها.

وقد التفت المصنفون في بداية القرن الرابع الى هذه الظاهرة الأدبية وتناولوها في مصنفاتٍ؛ كالجهشياري (ت ٣٣١ هـــ) في كتابه «الوزراء و الكتّاب» والصولي (ت ٣٣٥ هـــ) في كتابيه «أدب الكتّاب» و «الأوراق»، حيث تناول في هذين المصنفين عدداً من الكتّاب الشعراء ونماذج من أشعارهم. قد خصّ ابن حاجب النعمان (ت ٣٥١ هـــ) الكتّاب الشعراء بمؤلفه المعروف «أشعار الكتّاب»، لعل هذه التسمية قد مهّدت لإبن النديم (ت ٣٨٥ هـــ) أن يستخدام مصطلح «الشعراء الكتّاب» بثقة وهو يؤرخ لهذه الفئة التي أصبحت ذات خصائص متميزه من الكتّاب ومن الشعراء على حد سواء.

إنّ مصادر القرن الرابع تؤكّد أنّ هذا المصطلح ظهر في القرن الرابع ومابعده. حيث تابع ابن النديم (ت ٣٨٥ هـــ) ابن حاجب النعمان (ت ٣٥١ هـــ)، ثم انبرى المرزباني (ت ٣٨٤ هـــ) ليترجم في كتابه «معجم الشعراء» لعدد كبير منهم، وينقدهم في كتابه «الموشح». (العلاق،١٩٧٥:٥١) و في القرن الخامس عقد ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـــ) في «العمدة» باباً خاصاً بـــ «أشعار الكتّاب»، وتناولهم فيه حين قال في عمدته وهو ينقل قول الجاحظ: «طلبتُ علم الشعر عند الأصمعي، فوجدتُه لايحسن إلا غريبه ... فلم أظفر بما أردتُ إلا عند أدباء الكتّاب... كالحسن بن وهب ومحمد بن عبدالملك الزيات...». ثم يتابع قوله: «و الكتّاب أرق الناسِ في الشعر طبعاً و أقلّهم تصنعاً، وأحلاهم لفظاً و ألطفهم معاني وأقدرهم على تصرف وأبعدهم عن تكلف... وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في أحكام صنعة الشعر، لرغبة الكتّاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها، وقلّة الكلفة والإتيان بها يخف على النفس منها، وأيضاً فإنّ أكثر أشعارهم إنّما يأتي تظرفاً لاعن رغبة ولا رهبة، فهم مطلقون مُخَلّون في شهواتهم، مسامحون في مذهبهم، إذ كانوا إنما يصنعون الشعر تخيراً واستطرافاً. كما قال كشاجم:

و لئنْ شَعَرْتُ فما تَعَمَّدْتُ الهجاءَ و لاالمديحَة

لكـــنْ رأيـــتُ الشعرَ للآدابِ ترجمةفصيحة

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء والأمراء، والمترفين، من أهل الأقدار، لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعر صناعته والمديح بضاعته» (القيرواني، ١٩٨١: ١: ١١٠).

هناك اسئلة تطرح نفسها في هذا المضماروهى: **لماذا أكّد النقاد والدارسون على أشعار هذه الطبقة؟ او لِمَ هذا التمجيد والتحسين؟وهل يعطينا شعرهم صورة من صور بيئتهم؟ أجاءت أغراضهم الشعرية على نسق أغراض عصرهم، وهل تمييزشعرهم عن الشعراء الآخرين؟** ربماكان الجواب عن الاول يرجع إلى المزج بين خاصيتين من خصائص الأدب وهما إجادة فن الكتابة و إجادة فن الشعر. الجواب عن الثانى فلأنّ الكتّاب الشعـــراء كانوا يتفاعلون مـــع بيئاتهم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

تفاعلاً قوياً ومميزاً، وهو أمر قلّما نجده عند غيرهم من الشعراء، فقد كانوا رجال الحكم و السياسة و الحرب وكتّاب الدواوين الرسميين، كـــما كانوا رجال الفكر و العلم و الثـــقافة والأدب.

إذا أراد الباحث مقارنة شعرهم في ضوء الأغراض الشعرية بالأغراض المألوفة لدى شعراء عصرهم يجد أنهم قد عالجوا في شعرهم موضوعات غريبة عن موضوعات الشعر العربي المعروفة، أى انهم عالجوا موضوعات كانت خاصةً بالنثر وحده، مثال ذلك، الإخوانيات التي تحتل صفحات كثيرة في شعرهم، إنهم ابدعوا هذا النوع من الغرض الشعري بحيث اعتبر فنهم الخاص الذي تفتح وأثمر على أيديهم بسب تأثرهم بالصنعة الكتابية، وهي صورة من تداخل فن النثر مع الشعر، فإن موضوع الإخوانيات كان من موضوعات النثر خاصة فكانوا يوجهون رسائلهم إلى الأصدقاء والأمراء والوزراء والعمال والقضاة والتلاميذ وغيرهم في مناسبات وأغراض مختلفة كالمهاداة، والتهنئة والإستعطاف والعتاب، والشكر والاعتذار و... ثم أصبحوا يتبادلون هذه المعاني شعراً .

ولا نكاد نغلو إذا قلنا إن موضوعَ شعر الكتّاب الشعراء كان في المجالات العامة وفقد تناول شعرهم كل معالم الحياة الحضارية المادية والمعنوية الجديدة، ولم يقتصر على أغراض الشعر المحددة المعروفة، بينما نجد الشعراء في عصرهم كانوا يلتزمون بالشعر و تقاليده الموروثه.

إن الأغراض عندهم تتداخل تداخلاً شديداً بحيث يصعب على الباحث أن يحددها تحديداً. إذ نقلوا في شعرهم كل ما جال بخواطرهم في حياتهم، و بدؤوا يعبرون عما يشاؤون دون مراعاة للحدود المعروفة لأغراض الشعر في عصرهم بالضبط كماكان الأمر في كتاباتهم، ومن هنا يستعصي على الدارس تقسيم شعرهم على أساس الموضوعات التقليدية، فالأفضل إذن تقسيم شعرهم حسب اهتماماتهم واتجاهاتهم.من اتجاهاتهم الشعرية هو، **الاتجاه الديني، والاتجاه الاجتماعي،والاتجاه الموضوعي والاتجاه الفني.**

قبل دراسة هذه الاتجاهات خاصة ما يمت إلى هذه المقالة بصلة وهو الاتجاه الموضوعي لا بد أن نجيب عن سؤال ربما يجول في خاطر القاريء وهو هل كان لهم اتجاه سياسي في شعرهم باعتبارهم كانوا رجال سياسة أم لا؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول:

من غريب الأمر أن شعرهم لايصور لنا مواقفهم السياسية رغم أنّهم كانوا من رجال السياسة. فكان لإبن العميد والصاحب بن عبـــّاد اثر كبير في الحكومة ورسائلهما النثرية تدل على ما كان لديهما من مقدرة بلاغية في التعبير عن هذه المواقف. والغريب هو أن لا نجد في شعر ابن العميد رأياً في السياسة وهو واضع سياسة الملك كما يقول الزركلي. (١٩٨٤: ٦: ٦٨)كما أن الصاحب بن عبّاد كان مديراً لسياسة بني بويه ورسائله السياسية تـــُعّد دستوراً شاملاً ذا قيمة سياسية و حربية كبيرة (الصاحب بن عبّاد، ١٣٦٦: ٣ – ٥٧) والمصادر التاريخية تدلنا على مواقفه الحربية ومشاركته في معارك عديدة وقد فتح خمسين قلعة وسلمها للأمير البويهي فخر الدولة (ياقوت الحموي، ١٩٦٣ م: ٦: ٢٥١). في حين أننا لا نجد للسياسة أثراً في أشعاره.ثم ان كشاجم الكاتب الشاعر في بلاط سيف الدولة قد شهد حروب سيف الدولة ولم يشر إليها كما اشار معاصره المتنبي.إنّ هناك عوامل ومؤثرات في عدم إهتمامهم بالشعر السياسي، أهمها فيمايلي:

الف: إنهم رأوا أن الشعر يناسب الهزل و الكتابة تناسب الجد. فاجتهدوا في ان لا يخلطوا في حياتهم بين الجد والهزل كما لم يخلطوا بينهما في أدبهم وجعلوا الكتابة للأمور الجادة والشعر للأمور اللاهية.

ب: إنّهم كانوا يفتخرون بمكانتهم السياسية والإجتماعية وبكتابتهم النثرية. ولكي يميزوا أنفسهم عن الشعراء الآخرين مالوا إلى عدم معالجة هذه الموضوعات الشعرية.

ج: إن الشعراءلم يكن لديهم أداة للتعبير غير الشعر بخلاف الكتـــّاب الشعراء، فإنهم كانوا يملكون الأداتين معاً، وخصصوا

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

الكتابة للأمور السياسية و للأمور الجادة والشعر للأمور اللاهية.

د: إنهم كانوا يفرقون بين الموضوعات التي يطرقها الشاعر و الكاتب اي كانوا يجعلون حدوداً للشعر كما كانوا يجعلون حدوداً للنثر. يقول الصابيء: «الفرق بين المترسلين و الشعراء أن الشعراء إنما أغراضهم التي يرمون إليها وصف الديار والآثار، والحنين إلى الأهواء والأوطار، والتشبيب بالنساء، والطلب و الإجتداء، والمديح والهجاء، وأما المترسلون فإنّما يترسلون في أمر سداد ثغر، و إصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو إحتجاج على فئة، أو مجادلة لمسألة، أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة، أو تهنئة بعطية، أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك». (إبن الأثير، ١٩٨٣: ٣: ٣٤٠)، وواضح أن الصابيء أخرج موضوع السياسة عن حقل الشعر، وحدد موضوعات الشعر و النثر.

كان الثعالبي معاصراً لهؤلاء الكتّاب الشعراء وكان يعيش معهم وفي بيئتهم، وقد صور لنا مكانة الكتّاب في القرن الرابع؛ يقول: «ولا تزال طبقة الكتـــّاب مرتفعة عن طبقات الشعراء فإن الكتـــّاب، وهم ألسنة الملوك، إنّما يتراسلون في جباية خراج أو سد ثغر أو عمارة بلاد أو إصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئةٍ أو دعاء إلى ألفة أو النهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية في رزية أو ما شاكلها من جلائل الخطوب و معاظم الشؤون». (الثعالبي، ١٣١٧ هـــ: ٣).إنّ نظرة عابرة إلى هذين النصين في القرن الرابع تظهرلنا بوضوح أن الكتّاب الشعراء كانوا ملتزمين بهذا المفهوم في عصرهم.

لكي تكون دراسة الموضوع مثمرة يجب علينا اختيار شعر واحد من الكتّاب الشعراء ودراسة اتجاهات وخصائص شعرهم في أشـــعاره، ولهـــذا اختـــرت الصابيء (ت ٣٨٤ هـــ)وهـــوكاتب لديوان الرسائل فقد كان يقوم بكتابة العهود والتعيين للولاة والأمراء الصادرة من الخليفة والمراسلات السياسية.

نبذة من حياة الصابيء

وُلد أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني ببغداد سنة ٣١٣ هـــ. (إبن خلكان، ١٩٦٨: ١: ٢٣١) و قد نشأ وتلقى تعليمه الأول، و قد ورد أنه لقب بالصابيء لتشدده في دين الصابئة. (السابق: ١: ٥٤)يصفه إبن النديم، فيقول: «إنّه مترسل بليغ، شاعر، عالم بالهندسة، و الغالب عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر». (١٩٧١: ١٤٩)، و قد نصّ ياقوت على أنه: «كان بينه و بين الصاحب بن عبّاد مراسلات ومتاحفات وكذلك بينه و بين الشريف الرضي إبن الحسين الموسوي، مودة و مكاتبات... مع اختلاف الملل و تباين النحل و إنّما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين و النسب». (١٩٦٣: ٢: ٢٣)

وكذلك كان بينه وبين أبي الفرج الببغاء علاقات ودّية و مراسلات ومكاتبات ومساجلات شعرية لطيفه، كما كان بينه و بين المتنبي عتاقات ودّية ومكاتبات. (السابق: ٢: ٦٨) مما يكشف للدارس عن مواهبه الكتابية و مستواه الثقافي الرفيع الذي إنتظم فيه مع كبار أدباء عصره. يقول شوقي ضيف: «كان مثقفاً ثقافة واسعةً باللغة، والشعر، قديمه وحديثه، وإستطاع أنْ يحقق لنفسه قدرة بيانية جعلته يرتفع على أقرانه من المسلمين إلى رئاسة ديوان الرسائل و لعل ما يدل على قدرته تلك في هذا الجانب أننا نرى كبار الأدباء في عصره يعظّمونه و يجلونه». (٢٨١) و يجعله آدام متز من أكبر المنشئين في النصف الثاني من القرن الراب (١٣٧٧: ٢٧٤).

نشأ الصابيء في البيئة الفكرية في بغداد واقتبس من زادها العلمي، وتغذى من غذائها الفكري، فحفظ القرآن حفظاًجيداً أدىّ إلى تهذيب قلمه حتى أصبح كاتباً بليغاً وعلماً من أعلام البلاغة في عصره، وشاعراً وناقداً بارعاً ومؤلفاً قديراً، وهو صابيء. (الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٤١)، فطار صيته في الآفاق و وُصف بالإمامة لكتـــّاب عصره حتى قال فيه ياقوت: «... فأما بلاغته، و حسن ألفاظه فقد أغنتنا شهرتـــُها عن صفتها، و ذكرها الشعراء فقال بعضهم:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

أصبحْتُ مُــشتاقاً حليفَ صبَــابــَة
برسائل الصّابيء أبي إسحَاق
صــوبُ البلاغةِ و الحلاوةِ و الحجَى
ذوبُ البراعة سَلوة العُــشّاق
طــوراً كمــا رقَّ النسيمُ و تــارةً
يحكي لنا الأطواقَ في الاعناقِ
لا يبلــغُ اللبــلغاءُ شــأوَ مُبَــــرَّزٍ
كــُتِبَتْ بدائعُه على الأحداقِ
(١٩٦٣: ٢: ٢٧)

أما آثاره فابن نديم يذكر لنا أن له ديوان رسائل وكتاب (دولة بني بويه) و (أخبار الديلم) و (التاجي) و (أخبار أهله وولد أبيه)، وله ديوان شعر، وكتاب مراسلات الشريف الرضي (١٩٧١: ١٤٩).

امتاز الصابيء، بين معاصريه من الكتــّاب برقة شعره وعذوبته، ويكاد يمرّ على أنه شاعر فحل، لأن النثر الفني الذي أُغرِم به معاصروه هو نثر شعري لا يختلف عن الشعر إلا في الوزن وفي بعض الأغراض (زكي مبارك، ١٩٧٥: ٢: ٣٥٩). يصفه بديع الزمان بقوله في المقامة الجاحظية: «من لم يقصر نظمه عن نثره، و لم يزر كلامه بشعره». (بديع الزمان، ١٩٥٦: ٧٣).

توفي الصابيء سنة ٣٨٤ هــ (إبن خلكان، ١٩٦٨: ٢: ٥٣)، وقد رثاه الشريف الرضي بقصيدة طويلة بلغت إثنين وثمانين بيتاً تعد من روائع شعره وعوتب عليها واستكثر عليه وهو نقيب العلويين أن يبكي صابئياً فأجاب: إنما بكيته لفضله (السابق: ٢: ٥٤). «أيّ فضل هذا الذي ينسى الشريف الرضي منزلته الدينية و الإجتماعية؟ إنه فضل ذلك الرجل المهذّب الذي رأى من حسن العشرة أنْ يصوم رمضان و يحفظ القرآن (زكي مبارك:١٩٧٥ ٢: ٣٥٦). يقول لفقده:

فــُقِدَت مُلائمة الشكول لفقده
و بَقــْيتُ بين تبايُن الأضدادِ
(الشريف الرضي، ١٣٠٧ هــ: ١: ٢٩٤)

«من الخير ان نشير إلى أن الرضي صوّر في تلك القصيدة جانبين من أهم الجوانب في بكاء مثل ذلك الفقيد: الأول حزنه لفقده، و الثاني نكبة الأدب في ذلك القلم البليغ» (زكي مبارك، ١٩٧٥: ٢: ٣٥٥)

الشكوى

إنّها قديمة في الشعر العربي ولكنها لم تملك القدرة على التشكل في غرض قائم بنفسه، و لم تستقم غرضاً واسعاً مستقلاً إلا في العصر العباسي في القرن الثالث خاصةً. فكما قضت عوامل التطور والتجديد التي إستطالت في هذه الحقبة بنشوء أغراض جديدة كالشعر التعليمي، وشعر المجون، فإنها قضت بنشوء الشكوى غرضاً جديداً يستقطب هموم العصر، أناسه و أدباءه. (العلاق، ١٩٧٥: ٩١)

كان لحياة الكتــّاب الشعراء وما عانوه فيها من حبس ومصادرة أموال وعزل اعظم الأثر في ظهور هذا الغرض في أشعارهم، إذ نجد في أشعارهم الشكوى بانواعها: الشكوى من الزمن، الشكوى من الأمراض و الشكوى من جفاء الإخوان.

إنّ الشكوى من الزمن في شعر الكتّاب الشعراء، كانت اثراً من آثار حياة البؤس والفاقة التي عاشها عددٌ منهم بسبب ما أصابهم من محنٍ وعزل ومصادرة أموال.كثرت الشكوى من الزمن في شعر الكتــّاب «حين أرادوا أن يعبروا عن آلامهم وأشجانهم، ويفصحوا عن سخطهم على بواعثها وأسبابها، و لم يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين و الطغاة لظلمهم و طغيانهم و... و تجاهلوا عن المصدر الحقيقي وكفّوا عنه بالزمان أو الدهر أو الدنيا أو نحو ذلك من الألفاظ». (غناوي الزهري، ١٩٤٩: ٢٤٣) يكثر الصابيء من الشكوى من الزمن، بحيث عقد له الثعالبي في يتيمته فصلاً خاصاً بالشكوى. (١٩٧٣: ٢: ٢٩١) يشكو الصابيء من الزمن، كأنّ مواجهة الدهر عنده أهون من مواجهة الحكام:

كأنّ الدهرَ من صبري مَغيظٌ
فليس تَغبّني منه الخطــوبُ

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

يحـــاولُ أن تـــلين له قناتي
و يأبَى ذلك العودُ الصليبُ
و أعْتَنِـــقُ العـــظـــيمة إنْ عرتني
كأن قد زارني منها حبيبُ
و بين جـــــوارحي قلبٌ كريمٌ
تعَجّبُ من تماسكه القلوب
تلوح نواجـــذي و الكأس شربي
و أشـــربها كأني مُسْتَطيبُ
سأثبتُ إن يصـــادمني زماني
بركنيه كما ثبت النجيبُ
و أرقبُ ما تجيء به الليـــالي
ففي أثنائه الفرجُ القريبُ
(السابق: ٢: ٢٩١)

كأن الصابيء هنا يرمز بالدهر إلى السلطة وأن صراعه مع هذه السلطة لامع الدهر. يقول شاكياً الدهر:

قاسيت من دهري سفيها
ما إن رايتُ له شبيها
ثبتت نصالُ سهـــــامه
في ثُغْرَةٍ لي تَنتحيـــها
فكـــــأنّني أستقبلْتُـــه
بمقاتلي إذ أتقيـــــها
(السابق: ٢: ٢٩٢)

من معاني الشكوى التي ضمنها هؤلاء الكتـّاب أشعارهم، الشكوى من الكبر و المرض، وهي شكوى لم يختلف فيها واحد منهم عن الآخر، للصابيء قصائد كثيرة في هذا الموضوع فكان يكاتب الشريف الرضي مكاتبات شعرية يشكو إليه فيها زمانه وتقدم العمر به، يقول فيها:

إذا ما تَعَدَّت بي و سارت مِحَفَّـــةً
لها أرجل يسعى بها رجـــلانِ
و ما كنتُ مـــن فـــرسانها غير أنها
وَفـــَتْ لي لمّا خانت القدمانِ
نـــزلتُ إليها عـــن سراة حصان فقد
بحكم مشيبي أو فراش حَصانِ سبيلاً
حَمَلَتْ مني إبن تسعين سالكاً كمـــا
عليها يسلكُ الثقـــلان
حَمَلَ المَهْدُ الصبيّ و قبلـــها
ذعرتُ لُيُوث الغيل بالنّزوان
ولي بعدها أخرى تـــُسَمّى جنازةً تسير
جنيبـــة يـــومٍ للمنيـــة داني دِيار
(السابق: ٢: ٢٩٩)

يصور الصابيء في هذه الأبيات حاله بعد التسعين وكيف تبدلت به الحال من سراة حصان إلى المحفـّة كالصبي، وهو منتظر أن يحمل إلى القبر وتشيع جنازته لأنه متوقع دنو أجله. ربما يرجع السبب في هذه الشكوى من الأمراض والشيخوخة إلى شدة تعلقه بالحياة و إنغماسه في ملذاتها التي لا تدوم لأحد. وكلما قلّت هذه الملذات صعبت الحياة عليه وكانت الشكوى تعبيراً عن رغبته فيها.

الجديد في شعر الشكوى عند الكتاب الشعراء عامة و الصابيء خاصة هو أن تلازم حرفة الأدب والسياسة أعطى مصطلح الكتّاب مدلولا واسعا و أن الكتاب الشعراء اللذين تخلو كتاباتهم من دلالة سياسية و يهتمون بالأدب كان تعرضهم للمحن أقل من غيرهم و لهذا نرى الصابيء متعجباً بقاءه على ماله و حرفته معاً ومؤملاً أن تغفل حرفة الأدب لكي يعيش في الراحة،حيث يقول:

قَد كنتُ أَعجَبُ مِن مَالي وكَثـــرَتـــه
وكَيفَ تَغفلُ عَـــنهُ حـــرفةُ الأدبِ
حتّى أنثَنَت و هي كَالغَضبى تُلاحظُـــني
شزراً فَلم تبـــقَ لي شيئاً من النَّشَبِ
فاستَيقَنتُ أنّهـــا كَـــانت عَلَى غلـــطٍ
فَاستدرَكتُه و أفضتْ بي إلى الحَرَبِ
الضبُّ و النونُ قد يُرجَـــى التقَـــاؤُهما
و ليـــس التقـــَاء اللُـــبِّ والذّهبُ
(السابق،٢: ٢٩١)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

ممايجدر ذكره هنا أن شعر الشكوى عنده غالباً يهدف إلى الإخبار وليس له إلا الوضوح والتقرير .وهذا ما يفقده كثيراً من خصائصه الجمالية التي ترقى به إلى صعيد الشعر. والشاعر يركز على المعاني والأفكار دون الألفاظ والصور إذ نرى في هذه القصيدة ألفاظها سهلة ميسورة والصور بسيطة تعتمد على التشبيه أحياناً.

المجون

الكتّاب الشعراء – كابناء عصرهم المترفين – قد توافرت لهم أسباب المجون ودواعيه؛ فاندفعوا فيه وعكسه شعرهم، مصوراً الجانب اللاهي من حياتهم. مفصحاً عن شخصياتهم. فاللهو والتسلية عند الصابيء مع الخمر سبيلان لإزالة الهموم؛ فيقول:

رُبَّ عذراء راوحتني من الـــرا
ح بَعذراءَ تطرد الهمَّ طـــردا
خندريسٌ إذا المزاجُ عـــــلاها
نظمت بالحباب للكأس عقدا
تترك البالَ ناعماً و أخاالشجـــ
ـــو خليّاً و طائر اللهو سعـــدا

(السابق: ٢: ٢٦١)

يردد هذا المعنى كثيراً في شعره و يستهل به بعض أشعاره اللاهية:

ألاقي هُمُومي في جَحْفَلٍ
لها من مُقامي فيه قرارُ
(السابق: ٢: ٢٦٠)

كما كان اللهو عنده هروباً من همومه و آلامه؛ كانت الخمرة كذلك فالخمرة كانت تُنسيه تلك الهموم، فينغمس في عالمها قائلاً:

كوكب الإصباح لاحا
طالعاً و الديكُ صاحا
فاسقنيهـــــا قهوةً تأ
سو مـــن الهَمِّ جراحا
ذات نشْرٍ كنسيمِ الرو
ض غبّ القطر فاحا
يا غلامي ما أرى فيـــ
ـــها و لا فيك جناحا
حَـــــرِّمِ الماءَ و أبْعِدْ
ه و إن كان مبـــاحا
أ قُـــــرَاحٌ أنَـــا حتّى
أشربُ الماءَ القـــراحا
(السابق: ٢: ٢٦٠)

فهو لا يجد في شربها جناحاً بل يسخر من شرب الماء القراح، و السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: هل دين الصابئة يحرم الخمرة أم لا؟ بالرجوع إلى «الملل و النحل» يتبيّن أنّ دين الصائبة يرى أنّ أفضل ما في الإنسان من الخير هو العقل والخمرة تغتال العقل و تدفع الإنسان إلى الشر والشر في مبادئهم من عمل الشيطان (الشهرستاني: ٣٠٠ و ٣٠١).

الغزل

نجد في أشعاره انواعاً مختلفة من الغزل التقليدي، والغزل الحسي الصريح والعفيف والغزل بالمرأة وبالغلمان والا أن الغزل التقليدي (النسيب) قليل بالنسبة الى مجموع شعره.يقول الصابيء في احدى الجواري:

إلى اللهِ أشكو ما لقيتُ من الهوى إذا
بجارية أمســـى بها القلبُ يلهج
إمتزجَتْ أنفـــاسنا بالتـــزامنا كأنّي
توهَّمْتُ أنّ الروحَ بالروح تُمْزج
و قد قبلتهـــا بعـــد هَجْعَةٍ أضفتُ
و وَجدي ما بين الجوانح يلعج
إلى النفس التي بين أضلعي
بأنفاسها نفساً إلى الصـــدرتُولج
فإنْ قيل لي إخْتَر أيما شئت منهما
فإني إلى النفس الجديدة أحـــوج
(السابق: ٢: ٢٥٧)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

و من العجيب أنه رغم علو مكانته لم يكن يخجل من مثل هذا الغزل، إذ نجده يعلن عن لذاته و خلاعته دون إحتشام، ويذكر عبثه دون خفاء، يدور غزله بمعان والفاظ ماجنة مكشوفة. ومن الغريب أنه رغم رئاسته ديوان الإنشاء للخليفة كان يتغزل بالغلمان، كان متعلقاً بغلام أسود اللون يتردد اسمه في عدة قصائد يلهج فيها بحبه؛ منها قوله يخاطبه:

لكَ وَجْهٌ كـــأنّ يمناك خطّـــتـــ

ـــه بلفظ تُمِـــلّه آمـــــالي

فيه معنى من البـــدور و لـــكن

نَغَضَت صبغـــــها عليه الليالي

لم يشنْكَ السوادُ بل زدت حسناً

إنّما يَلبسُ الســـوادَ المـــــوالي

فبما لي أفديك إن لم تكـــــن لي

و بروحي أفديك إن كُنْتَ مالي

(السابق: ٢: ٢٦٦)

و من ذلك قوله:

ما أنس لا أنسَ ليلة الأحد

و البدرُ ضيفي و أمره بيدي

قَبَّلْـــتُ منه فماً مُجاجته

تجمع بين المـــدامِ و الشُهُد

كأن مَجرى سِـــواكه بَرَدٌ

و رِيقُـــه ذوبُ ذلك البَرَد

(السابق: ٢: ٢٥٨)

الهجاء

إنّه من الأغراض المتجددة عند الكتّاب الشعراء ، فقد تطور في مقاصده و أساليبه و لغته و صوره، «خضوعاً للعوامل المختلفة التي أثّرت في تطور المجتمع نفسه، و إختلاف معاييره و قيمه» (هداره، ١٩٦٣: ٤٣٦). واستجابةً لمتطلبات البيئة الفكرية للكتّاب الشعراء للمكانة المتميزة التي كانوا يتبوؤنها في المجتمع العباسي. (العلاق، ١٩٧٥: ٣٤٥) فالصابيء يسخر من محنته؛ و يقول:

...أخرجُ من نكبةٍ و أدخُلُ في

أخرى فنحسي بهنَّ متّصلُ

كأنّها سُنـــّةٌ مُـــؤكَّـــــدة

لابُدَّ مِن أن تقيمها الدول.

(السابق: ٢: ٢٩٢)

بهذه الروح الساخرة يعبر عن تلاحق محنه ولا يتعرض لاسبابها؛ من صورهم الساخرة وصفه لجاهل يلبس عمامة:

يا مَنْ تَعَمَّمَ فـــوق رأسٍ فارغٍ

بعمامةٍ مَـــــرْويّةٍ بيضـــاء

حَسُنَت و قُبِّحَ كلُّ شيءٍ تحتها

فكأنّها نـــورٌ على ظَلمـــاء

لّما بدا فيـــها أطَلـــتُ تعجّبي

من شرّ شيءٍ في أجـــلّ إناء

لـــــو أنّني مُكّنتُ مما أشتهي

وأرى من الشهوات و الآراء

لجعلتُ مَوضِعَها الثرى و جعلتُها

في رأس حُرٍّ مـــن ذوي العلياء

(السابق: ٢: ٢٨٥)

للصابيء صور ساخرة الفاظها الفاظ دنيّة ساقطة. (السابق: ٢: ٢٨٤-٢٨٨) هجاؤه السياسي و الاجتماعي لم يخرج عن مجال السخرية بالرغم من الفساد السياسي والإداري الذي كان شائعاً في عصره ، خوفاً على نفسه ،أما هجاؤه الشخصي فقد أخذ جانب الهزل وهو أقرب إلى المداعبة منه إلى الإيلام وكشف العيوب وإن كان خالياً عن النقد اللاذع، ولعل سمو مكانته وثقافته منعه عن النطق بعيوب الآخرين.

الرثاء

لم يرث الكتّاب الشعراء الاشخاص أومن فقدوا من الأشخاص فقط وإنما رثوا أشياء لم يكن يلتفت إليها شعر

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

الرثاء فيما سبق كرثاءكشاجم فهو يرثي عوداً لمغنية انكسر، (١٩٧٠، ٤٥٦) ومنديلاً سرق منه (٨٦) وقدحاً انكسر له؛ مطلعها:

عراني الزمانُ بأحداثــه

فبعضٌ أطَقْتُ و بعض فَدَح

و عندي فجائع للنائبات

و لا كفجيعتنـــا بالقَدَح...

(١٣٠- ١٣٢)

للصابيء مراث في ولده سنان التي تمتلىء بعاطفة الأبوة؛ يقول فيها:

أسعداني بالدمعَةِ الحمـــــراء

جُلّ ما حلّ بي عن البيضاء

يُؤلم القلبَ كلُ فقدٍ و لا مث

ل إفتقاد الآباءِ لـــــلأبناء...

... كنتَ في اليتم فيّ أجمل مني

فيك الثـُّكل في أوانِ فنائي

و لئن كان في أخيـــك و أولا

دكما ما يَغُضُّ من بُرَحائي

فلعمري لربما هَيّجـــوا الشـــو

ق فزادوا في لوعتي و بكائي

(الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٧٠)

يبدو أنه قد جرّبَ اليتم و الثكل ووجد أن اليتم أخف من الثكل على النفس. فلا نجد معنى جديداً في رثاءه إلا أنه يذكرنا في البيتين الأخيرين برثاء إبن الرومي في قصيدته المشهورة التي يرثي فيها إبنه والتي مطلعها:

بكاءُ كما يشفي و ان كان لايُجدي

فجودا فقد أودى نظير كماعندي

و تأثره بهذه القصيدة بارز حين يقول إن إخوته و أولاده لايُخَفِّفُونَ لوعته بل يزيدون حزنه كما نجد ذلك عند ابن الرومي:

أرى أخويكَ البـــاقيين كليهما إذا

يكونان للأحْـــزان أرْوى مِن الزنُد[1]

لعبا في مَلعـــبٍ لـــكَ لذّعا

فؤادي، بمثل النـــار عن غيرما قَصِد

فما فيهما لي سَلْوَةٌ، بل حرارةٌ

يَهيجانِها دوني، و أشقى بها وحدي

(١٩٧٣: ٢: ٦٢٥)

اليتم عنده غربة و وحشه إذ يقول:

أسْرَةُ المرءِ والداه و فيما

بين حضنيهما الحياة تطيب

فإذا ما طواهما الموتُ عنه

فهو في الناس أجنبيّ غريب

(الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٦٩)

الحكمة

الكتّاب الشعراء كانوا ممن نالوا حظاً وافراً من الثقافة والعلم. وكان كلٌ منهم يدعو الانسان إلى التأمل والنظر في الأمور. فمن الطبيعي أن نجد بين أشعارهم اشعاراً دالةً على التأمل في الحياة والحكم والامثال. إذ هي خلاصة تجاربهم، فابن العميد الذي صارت كلماته القصيرة جارية مجرى الأمثال، كان شعره ايضاً لا يخلو منها؛ إذ يقول:

و للرأي زلّاتٌ يظُلّ بها الفتى

مُرَكّبَةً فوقَ الثنايا أنامله

(السابق: ٣: ١٨٠)

الصاحب بن عباد يدعو إلى حفظ السرّ: فيقول:

احفظ السرَّ وارعه

إنّ إظهاره خطـــر

لا تدعه و إن وثقـــ

ـــتَ لمن يكتم الخبر

١. أوري: اكثر ايقاداً و إشعالاً، الزند: حديده من فولاذ تضرب بحجر صوان فيتقدح النار.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

فقـــــديماً روى لنا
عن ذوي العلم بالأثر
إحفـــظ السرَّ مثلما
يُحفظ السمعُ و البصرُ
(٢٠٠١، ١٠٨)

أما الصابيء فاكثر حكمه ونصائحه تدور حول القضاء الذي يدرك الإنسان سواء تحفظ منه أم لا، ومما لا شك فيه أنها نتيجة تعامله مع هذه الحياة التي كانت بين النعيم والجحيم بسبب عزله و نصبه عدة مرات وهذه الحكم تعكس روح الصابيء بشكل خاص وروح العصر بشكل عام، و تدل على فلسفته في الحياة.

ألا أيّها الإنســـــانُ لا تكُ آيساً
من الدهر أن تَصْفُو عليك مشاربُه
فإنّ له حتماً من الشـــــرِّ واجباً
و حتماً مـــن الخير الهنيّ عواقبه
و إن تلقَ من حتميه ما كنتَ تبتغي
فأولى بك الحتمُ الذي أنت طالبه
سَتَكسِبُ ما ترجو و لوكنت كارهاً
ككسبك ما تخشى و أنت مجانبه
(الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٩٧-٢٩٨)

الفخر

ومن الجديد في شعر الكتّاب الشعراء أن معاني الفخر إقتصرت على الفخر بمهنتم أما المعاني المطروقه في الفخر فلانجدها فيه. الصاحب بن عبّاد يزهو باشتغاله بهذه المهنة فيقول:

نالَ إبن عبّادٍ المُنى كملاً
إذْ عَدّه إبن العميد من خدمه
(٢٠٠١، ١٨٨)

أما الصابيء فيفتخر بقوله:

قد عَلِمَ السلطانُ أنّي لســـــانُه
و كاتبُه الكـــافي السديدُ الموفقُ برأي
آزره فيما عـــرا و أمُـــــدُّه يُجدِّد
يُريه الشمسَ و الليلُ أغسق يفتح بي
بي نهج الهُدى و هو دارسٌ فيمناي
بابَ النُهى و هو مُغلَق
يمنـــــاه و لفـــظي لفظه
عيني له عين بها الدهر يرُمق... يرضى
... يُسَلَّمُ لي قُسٌّ و سحبان وائلٍ
جرير مذهبي و الفرزدقُ
فَيُغْضِي لنثري خاطبٌ و هو مِصقَعٌ
يعنو لنظمي شاعـــر و هو مفلقُ
معانٍ لـــــو الأعشى رآهُنَّ لم يَقُلْ
«وباتَ على النارِ النّدى و المُحُلَّق[1]»
(الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٧١)

تقتصر معاني الفخر عند الصابيء على مقدرته الكتابية وعلى عمله، فيقول مفتخراً بمقدرته:

...قُلِّدْتُ ديوانَ الرسائلِ فانظروا
أعَدَلْتُ في لفظي عن التسديد؟...
...أنسيتُم كُتبـــاً شحَنتُ فصولَها
بفصولِ درٍّ عنـــدكم منضود؟
و رسائلاً نفذت إلى أطرافكم
عبدالحميدِ بهـــنَّ غـــيرُ حميد؟
يهتزُّ سامِعُهُنَّ مـــن طَرَبٍ كما
هَزَّ النديمَ سماعُ ضربِ العـــودِ
(السابق: ٢: ٢٤٣)

لقدتغيرت معاني الفخر عندهم، فلم يعد الشجاعة وحمل السيف والفروسية تُذكر في فخرياتهم بل حلت محلّها إجادة البيان والبلاغة والسياسة، وصار القلم أداة السياسية بينما كان السيف أداة الحرب، فكانت مقدرة الصابيء هي الكتابة

١. تُشَبُّ لِمَقرورَينِ يَصطَلِيانِها وَباتَ عَلى النارِ النَدى وَالمُحَلَّقُ
(الأعشى ، ١٩٩٢ : ١٨٤). قال هذه القصيدة في مدح المحلّق بن خشم بن شداد بن ربيعة .

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

ويذهب في بعض أشعاره إلى تفضيل السياسة على الحرب، فيقول:

و لِي فِقَرٌ تُضحي الملوك فقيرة
إليها لدى احداثها حين تطرق
أردُّ بها رأس الجَموحِ فيَنْثَني
و أجعلُها سوطَ الحرون فيُعنق
فإن حاولتُ لطفاً فماءٌ مُروّقُ
و أنْ حاولتُ عُنفاً فنارٌ تألّقُ
(الثعالبي،١٩٧٣، ٢: ٢٧١)

أشعارهم دالة على الفخر و الاعتزاز بعملهم مما يدل على رضى كامل عنه. الصابيء يجعل العمل كسباً للرزق الذي يسعى له سعى الليوث فيقول:

...فما كنتُ كالقِسطارِ يُثري بكيسه
و يُمْلِقُ إن أنحى على الكيس سَالِبه
ولكن كليث الغاب إنْ رام ثروة
حَوتْها له أنيابُه و مخالبُه
كذلك مثلىَ إنْ غاض ما ملكتْ يدي
في فضل جاهي أن تفيض مذاهبه
إذا كان مالي من طريف و تالد
يدى فضلي فمُفنيه جالبه
ولي بين أقلامي و لُبّي و منطقي
قلّما يشكو الخصاصة صاحبه
(السابق: ٢: ٢٧٢)

إنهم لايطلبون العلى من غير كدٍ بل يذهبون إلى أن طريق العمل محفوف بالبلايا و المخاطر يقول الصابيء:

و لابُدَّ للسّاعي إلى نيل غايْةٍ
من المجد من ساعٍ تَدِبُّ عقاربُه
(السابق: ٢: ٢٧٢)

الوصف

مما أضاف الكتـّاب الشعراء إلى موضوع وصف الشعر العربي هو وصف جمال الخط والاسلوب، فالصابيء يمدح الوزير المهلبي واصفاً بيانه و بلاغته و لفظه و خطه وصفاً لايمكن صدوره الا من كاتب بارع متمرس. فيقول:

وَ إذا إسْتَنطقَ الأناملَ جادتْ
ببيانٍ كالجوهرِ المَنْضُودِ
في سُطورٍ كأنّما نشرت يُمـ
ـناه منها عَصائباً من برود
فقرٌ لم يَزلْ فقيراً إليها
كلُّ مُبديء بلاغة و معيد
يَغْتدي البارعُ المفيدُ لديها
لاحقاً بالمقصِّد المستفيد
ببيانٍ شافٍ و لفظٍ مصيب
و اختصارٍ كافٍ و معنى سديد
(السابق: ٢: ٢٧٣)

يقول في جمال خطه :

و كم مِن يدٍ بيضاءَ حازت جمالَها
يَدٌ لك لا تَسْوَدّ إلّا من النِّقس[1]
إذا رَقـّشتْ بيضَ الصحائف خلتَها
تُطَرِّزُ بالظـّلماء أرديَة الشمس
(السابق: ٢: ٢٧٣)

يشيع في أشعارهم وصف بيئتهم الكتابيّة، كوصف المكاتب، والأدوات المكتبية ووصف جمال الخط، والعلاقات بين الكتـّاب ومدح بعضهم بعضاً وهجاء كتاب الدواوين، وغير ذلك....يصف الصابيء أدوات الفلك وقد أهدى إلى عضدالدولة أسطرلاباً:

أهدى إليك بنو الآمال و إحتَفلوا في
مهرجان جديدٍ أنت مُبْليه
لكنَّ عبدَكَ إبراهيمُ حين رأى
علوَّ قدرك عن شيءٍ يدانيه
لم يرضَ بالأرض مهداةً إليك فقد
أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

١. النقس: المداد

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

أهديتُ مُحتفلاً زيجاً جـــداولُـــه
مثلُ المكاييل يستوفي .بما العمرُ
فقِسْ به الفلكَ الـــدوّار واجرِ كما
يجري بلا أجلٍ يُخشَى و ينتظر
(السابق: ٢: ٢٧٩)

يلجأ الصابيء إلى دفاتره وأقلامه في محنته و يصفها مُنجدة له:

ليس لي مُنجـــدٌ علـــــى ما أقاسي
من كروبي سوى العليم و السميع و
دفتري مؤنسي و فكـــري سمـــيري و
يدي خادمي و حلـــمي ضجيعي و
لساني سيفي و بطـــشي قريـــضي
دواتي غيثي و درجي ربيعـــــي في
أتعـــاطـــي شجاعـــةً أدّعيهـــــا
القـــــوافي لقلبي المصـــــدُوع
(السابق: ٢: ٢٩٢)

يتحدث عن شؤون خاصة بالدولة التي يخدمها ويندر أن يتحدث عن نفسه.وفي الحق أننا لانجد في أشعاره ما يقرب من الرسائل الإخوانية إلا بعض الأشعار التي نقلها الثعالبي في يتيمته في التهاني، منها ما كتبها مهنئاً المطهر بن عبد الله بالعيد:

عيدٌ إليـــكَ بمَـــا تحـــبُّ يعـــود
بِطَوالِـــع أوقَاتُهنَّ ســـعُودُ
مُتَبارِكـــاتٌ كـــلَّ طَالِعِ سَـــاعةٍ
يُـــوفِي عَلى مَا قَـــبلِه و يَزيـــدُ
يَأتيـــكَ من ثَمـــرَ المُنِي بِغـــرَائبٍ
مَعدومُها لَك حـــاصلٌ موجودُ
قَضّيتَ شهرَ الصَـــومِ بالنُسكِ الذي
هـــو منكَ معـــرُوفٌ لَـــه مَعدُومُ
أَكثـــرتَ فيه مـــن تَجَهُّدِ خاشـــعٍ
مَـــا يطـــمَئِنُّ بمُقلَـــتيه هُـــجُـــودُ
فأشرَبْ و سَـــقِّ عصابةً قـــد مَسَّها
عَطـــشٌ و جُـــهدٌ في الصبيَامِ جَهيدُ
(السابق:٢ :٢٩٥)

الإخوانيات

ان كتاب الرسائل في القرن الرابع يتناولون كتابة الرسائل بأنواعها الديوانية والإخوانية والعامة. تحولت الرسائل الإخوانية في هذا القرن على أيدي الكتاب الشعراء إلى مادة شعرية طريفة سميت بالإخوانيات و إذا استعرضنا أشعارهم نجد أن الإخوانيات صورة من تداخل فن النثر مع الشعر و اقتباس أحدهما من الآخر بعض صفاته حيث صار موضوع شعر الإخوانيات نفس موضوعات الرسائل الإخوانية من شكر واعتذار وعتاب وتشوق وغيرها من الموضوعات.كان كتاب الرسائل الإخوانية غالباً ممن لم يتولوا مناصب رسمية في الدولة بل كانوا من عامة المنشغلين في الأدب وإن كان ذلك لم يمنع بعض الرسميين أن يكتبوا رسائل إخوانية كما هو الحال عند ابن العميد و الصاحب بن عبّاد و قابوس بن وشمكير .أما الصابيء فكان كاتباً بديوان الرسائل ببغداد وكان في أكثر الأحيان

نتيجة البحث

إنّ شعر الكتّاب في القرن الرابع كان نسجاً خاصاً يتميز بملامح وسمات أدبية خاصة وإنّ هؤلاء الشعراء ساروا مع حركات التجديد مع غيرهم من الشعراء.لعل وجود الشعراء الكبار في هذا القرن امثال :المتنبي، وابي فراس الحمداني، وابي العلاء المعري، والشريف الرضي وغيرهم جعل شعرهم في المكانة الثانية ولهذا لايحظ شعرهم من النقاد ما يستحق من تقدير وقبول.

حاولت هذه المقالة معالجة موضوع شعرهم من خلال اشعار الصابيء،وخلصت الى النتائج التالية:

١. إن الأغراض عند الصابيء تتداخل تداخلاً شديداً بحيث يصعب تحديدها. إذ نقل في شعره كل ما جال بخاطره في حياته، وبدأ يعبر عما يشاء دون مراعاة للحدود المعروفة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

لأغراض الشعر في عصره،كما كان الأمر في كتاباته.ولكنه لم يتطرق فيه إلى موضوعات الحياة السياسية.

٢. كان لحياته وما عاناه فيها من حبس ومصادرة أموال وعزل أعظم الأثر في ظهور الشكوى في أشعاره، إذ نجدها في أشعاره بانواعها: الشكوى من الزمن، الشكوى من الأمراض والشكوى من جفاء الإخوان. يكثر الصابيء من شكوى الزمن، بحيث عقد له الثعالبي في يتيمته فصلاً خاصاً بها.

٣. توفرت له أسباب المجون والخمرة و دواعيهما؛ فاندفع فيهما وعكس تجربته لهما بشعره، مصوراً الجانب اللاهي من حياته مفصحاً عن شخصيته ومعتبراً اللهو والخمر سبيلين إلى إزالة الهموم.

٤. تفنّن في شعره الغزلي إذ أن حياته الخاصة جعلت شعره الغزلي يختلف عن شعر الآخرين، فنجد في أشعاره انواعاً مختلفة من الغزل التقليدي، والغزل الحسي الصريح والعفيف والغزل بالمرأة وبالغلمان وغيره الا أن الغزل التقليدي (النسيب) قليل بالنسبة إلى مجموع شعره.

٥. هجاؤه شخصياً كان أو سياسياً أو اجتماعياً يكون خالياً من النقد اللاذع. والسبب يـــرجع إلى خوفه على نفسه.

٦. تدل اشعاره الحكمية على دقة نظره في الحياة وتعمقه فيها وتأمله في حوادثها حيث جرت مجرى الأمثال.

٧. تنحصر معاني الفخر عنده بمهمنته فقط، حيث حلّ القلم أداة السياسة محل السيف أداة الحرب.

٨. من معاني الوصف الجديد التى أضافها إلى الشعر العربي وصف جمال الخط والاســـلوب، ووصف بيئته الكتابيّة.

٩. بما أن نثر الصابيء في الأغلب موضوعي لأنه كان يكتب في الأمور الخاصة بالدولة التي كان يخدمها فلهذا إخوانياته لا ترقى مستوى إخوانيات الكتاب الشعراء في هذا القرن كالخوارزمي وابن العميد و الصاحب .

المصادر و المراجع

[١] إبن الأثير، أبوالفتح نصرالله بن أبي مكرم الشيباني. (١٩٨٣م)، ***المثل السائر***، تحقيق: احمد الحوفي و بدوي طبانة، دارالرفاعي، الرياض.

[٢] إبن خلكان، احمد بن محمد.(١٩٦٨م)، ***وفيات الأعيان***، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

[٣] إبن الرومي، أبوالحسن علي بن العباس بن جريح. (١٩٧٣م)، ***الديوان***، تحقيق: حسين نصار، دارالكتب، القاهرة.

[٤] إبن النديم، محمد بن إسحاق.(١٩٧١م)، ***الفهرست***، تحقيق: رضا تجدد، طهران.

[٥] الإصفهاني، أبوالفرج.(٢٠٠٠م)، ***الأغاني***، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

[٦] الأعشى ، ميمون بن القيس . (١٩٩٢ م .) ، **الديوان** ، شرح : يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت .

[٧] الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل. (١٣١٧هـــ)، ***نثر النظم و حل العقد***، المطبعة الأدبية، مصر.

[٨] الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل.(١٩٧٣م)، ***يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر***، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دارالفكر، بيروت.

[٩] الزركلي، خيرالدين.(١٩٨٤م)، ***الأعلام***، دارالعلم للملايين، بيروت.

[١٠] الشهرستاني، أبوالفتح محمد بن عبدالكريم. ***الملل و النحل***، تحقيق: عبدالعزيز الوكيل، الرياض.

[١١] الصاحب بن عبّاد، إسماعيل بن العباس بن احمد بن إدريس الطالقاني.(٢٠٠١م)، ***الديوان***، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

[١٢] الصاحب بن عبّاد، إسماعيل بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني.(١٣٦٦هـــ)، ***رسائل الصاحب بن عبّاد***، جمع: عبد الوهاب عزام و شوقي ضيف، دارالفكر، القاهرة.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

[١٣] ضيف، شوقي.(١٩٦٥م)، ***الفن و مذاهبه في النثر العربي***، دارالمعارف، مصر.

[١٤] العلاق، حسين صبيح. (١٩٧٥م)، ***الكتّاب الشعراء في العراق في القرن الثالث الهجري***، ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي ببيروت و دارالتربية ببغداد.

[١٥] غناوي الزهري، محمود. (١٩٤٩م)، ***الأدب في ظل بني بويه***، مطبعة الأمانة، القاهرة. ١٧.

[١٦] القيرواني، ابن رشيق.(١٩٨١م)، ***العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده***، ط ٥، دارالجيل، بيروت.

[١٧] كردعلي، محمد.(١٩٤٨م)، ***امراء البيان العربي***، ط ٢. لجنة التأليف و الترجمه و النشر، القاهرة.

[١٨] كشاجم، محمود بن الحسين.(١٩٧٠م)، ***الديوان***، تحقيق: خيرية محفوظ، بغداد.

[١٩] مبارك، زكي. ***النثر الفني في القرن الرابع***، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

[٢٠] متز، آدام.(١٣٧٧م)، ***تمدن اسلامي در قرن چهارم***، ترجمه: عليرضا ذكاوتي قراگزلو، چاپ سوم، انتشارات اميركبير، تهران.

[٢١] هدارة، محمد. ***اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني***، ط ٢، دارالمعارف بمصر.

[٢٢] الهمذاني، بديع الزمان.(١٩٥٦م)، ***مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني***، ط ٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

[٢٣] الحموي،ياقوت أبوعبدالله.(١٩٦٣م)، ***معجم الأدباء***، دارالمأمون. مصر.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]

موضوعات شعر نویسندگان در قرن چهارم بر اساس شعر صابئ

عبد الغنی ایروانی زاده[۱]، حسین کیانی[۲]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۵/۲/۳ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۵/۷/٤

شعر نویسندگان در قرن چهارم ویژگیها و خصایصی دارد که با ویژگیهای شعر قرن همخوانی دارد، اما شهرت نویسندگی این شاعران مانع از این شده است که آنان در میدان شعر ظهور بیشتری داشته باشند و در زمرهٔ شاعران درجه اول قرار گیرند.

این مقاله کنکاشی است در پدیدهٔ شعر نویسندگان که در عصر عباسی ظهور یافت و توانست هنر شاعری و نویسندگی را با هم جمع کند. در این مقاله برآنیم تا بر پایه شعر صابئ، شاعر نویسندهٔ قرن چهارم، به بررسی مهمترین موضوعات شعری این گروه از شاعران بپردازیم.

واژگان کلیدی: شعر، نویسندگان، قرن چهارم، صابئ

۱. استادیار دانشگاه اصفهان

۲. دانشجوی دورهٔ دکتری دانشگاه اصفهان

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-02]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1427.13.4.1.4]